



مجلة العاصمة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

دور السياق اللغوي في فهم النص القرآني

مسعود أجيولا عبد الرحيم

محاضر، قسم اللغة العربية، كلية التربية ولاية كوارا، إورن، ولاية كوارا، نيجيريا

ملخص البحث :

يعدّ السياق من أبرز النظريات في الدراسات اللغوية الحديثة، وبدونه قد يقع المحلل اللغوي في الأخطاء اللغوية العظمى، وقد تؤدي إلى فساد دلالة الآية القرآني بصفة خاصة، وإفساد المجتمع الإسلامي بصفة عامة. اللغة العربية لغة مميزة باشتقاق، وهي لغة دين الإسلام، بها أنزل القرآن الكريم، وهي لغة التي كتبت بها جميع المصادر الإسلامية الأساسية بسياقها المختلفة الأغراض في النص. وقضية السياق في اللغة العربية والنصوص الإسلامية قضية لا تستهان بمهمتها في جميع المجالات العلمية. وعلم لا ينكر في الحقل اللغوي، وسعيًا لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه الدراسة تهدف هذه المقالة النظر إلى دور السياق اللغوي في فهم النص القرآني ليتضح أهميته الفائقة بوصفه أداة مهمة في فهم النصوص الإسلامية وغيرها.

التمهيد

تعتبر النظرية السياقية من أهم النظريات تستخدم في الدراسات اللغوية النصية؛ لما له من دور جلي في بيان الكلمة في النص وكشف عن غموضها، وتعد هذه النظرية ثروة لغوية مهمة لا أحد ينكرها ولا تستهان بها في الحقل اللغوي لما له من صلة وطيدة بالمستويات التحليلية للغة صوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً. وسيتضح لنا في هذه المقالة المتواضعة مفهوم السياق اللغوي والاصطلاحي، وأهميته في التراثي العربي القدامى مع نوعيه: المقالي بمستوياته اللاحق في فهم دلالات النصوص القرآنية، ولآخر الحالي الذي يكمن أهميته في داخل الخطاب والمقام. ونظر إلى إسهاماته النموذجية في فهم النصوص القرآنية مما يظهر أهميته القصوى في الحقل اللغوي.

مفهوم السياق وأهميته

يعتبر السياق علم مهم ذو دور قيم في فهم دلالة النصوص سواء كان النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة، وغيرهما من الأقوال، وبما أن اللغة نشاط اجتماعي للإنسان، يلعب فيها السياق دوراً بارزاً في تحديد معنى النص ومن ثم تحديد تماسكه. وحتى ندرك هذه الكلمة لا بد من أن نعرف معناه المعجمي، ثم تعريفه لدى علماء اللغة النصية اصطلاحاً على النحو الآتي:

السياق كلمة مشتقة من ساق يسوق سوقاً يقول ابن منظور في اللسان: "وقد انسأقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة وفي حديث أم معبد فجاء زوجها يسوق أعزراً ما تساوق أي ما تتابع والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً" (١). ومنه قوله تعالى: إلی رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ [القيامة: ٣٠]

وفي الاصطلاح عبارة عن ما يلجأ إليه المحلل اللغوي إذا حدث له الغموض في النص، وتمثل حجر الأساس في علم المعنى الذي يقوده إلى الحصول على النتائج الباهرة. لأن السياق يجلي العلاقات الواردة في النص (١). ورأى اللغويون

١ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (القاهرة: طبعة دار صادر، دبت)، مادة: سوق.

أن اللغة ظاهرة اجتماعية للإنسان، ويكون السياق الاجتماعي مكمل للمعنى، ولا يمكن للمحلل اللغوي الاستغناء عنه في تفسير اللغة، لاسيما النصوص القرآنية، لأنه يلعب دوراً مهماً في توضيح المعنى (٢). وهذا يفيد علماً أن السياق والمعنى يلعبان دوراً مهماً في التوضيح أية نص من النصوص العلمية إذا حدث فيها الإشكال أو الغموض، لأن النص هو ما كان مسوقاً لإفادة معنى معين (٣).

أهمية السياق:

لقد تولد لفظة السياق في تعبير علماء القدامى في مجالات مختلفة، وأفادونا علماً عن دوره في فهم الخطاب، وبفائدته نفهم عما أراد الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله، قال الإمام الشافعي: "إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان من معانيها: اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهرة، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعاماً يراد به الخاص. وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره" (٤). يقول صحبي: "السياق لم تكن أهميته مقصورة على تحديد معنى الوحدات اللغوية فقط، وإنما في تحديد معنى الكلمة أيضاً، وتحديد معنى الكلمات يؤدي إلى بيان دلالة الجمل، ومن ثم يحدث التماسك الدلالي" (٥). وقد اهتم المفسرون بسياق النص القرآني في تفسير آيات قرآنية، وذلك بنظر إلى سبب نزول الآيات القرآنية لبيان دلالاتها اللاحقة بها "وهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة" (٦). فضلاً عن هذا، لقد اعتنى الأصوليون بمعرفة السياق في بيان دلالات النصوص القرآنية وأحكامها الشرعية، يقول: حبلى محمد يوسف "وقد عوا تماماً أن ثمة نوعين من القرائن السياقية، الأولى هي القرائن اللفظية، والثانية هي القرائن المقامية وفهموا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن في تحديد دلالة النص" (٧). وكما أن المفسرين تنبهوا إلى أهمية القرائن بنوعيتها: المعنوية والحالية، في تفسير الآيات القرآنية، وجعلوا أهميتها كأهمية معرفة اللغة من نحوها وصرفها وبلاغتها (٨).

أنواع السياق ومستوياته في تحليل النص.

السياق كما سبق القول عن أهميتها في فهم دلالات النصوص القرآنية وألفاظها، وكذلك في لغة الإنسان عامة، وهو بهذا تنوع إلى أنواع منها المقالي، ومنها الحالي وإلينا هذا البيان على كل نوع منه وهو كالآتي:

أولاً- السياق المقالي

السياق المقالي وهو الذي يطلق context linguistic وهو السياق الذي يدرس في اللغة عند التحليل النص وهو يشمل المستويات العدة منها المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي والمعجمي وهذه الجوانب يساعد بكثير في فهم ألفاظ القرآن ونصوصه.

- ١ الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)، ص ١٠٥-١٠٦.
- ٢ انظر: الفقي، صبحي إبراهيم، المرجع نفسه، ص ١٠٦.
- ٣ انظر: الحارثي، عبد الوهاب أبو صافية، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، (عمان: دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، ١٩٨٩م)، ص ٨٤.
- ٤ الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الرسالة، شرح وتعليق عبد الفتاح ظافر كباره، (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٩م)، ص ٥٥.
- ٥ الفقي، صبحي إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٠٦.
- ٦ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، ج ٦ (الرباط، مكتبة المعارف، دبت)، ص ١٨٠.
- ٧ حبلى، محمد يوسف، البحث الدلالي عند الأصوليين، (القاهرة: مكتبة عالم الكتب، ١٩٩١م)، ص ١٢.
- ٨ العموش، خلود، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، (الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٥م)، ص ١٢٩.

أ-المستوى الصوتي: اهتم بها العرب القدامى بدراسته في الحقل اللغوي، وكان اهتمامهم بهذا العلم مقدمة لأبحاثهم في العلوم الأخرى كالنحو والتجويد، كما اهتم النحاة بالبحث الصوتي لخدمة دراستهم في الصرف والإعلال والإبدال والإدغام، واهتم علماء التجويد بهذا العلم الصوتي لإتقان ترتيل القرآن الكريم وفهمه وخدمته (١)

ب-المستوى الصرفي: ذو أهمية قيمة، وهو أحد المستويات التي ينظر فيه المحلل اللغوي لفهم النصوص القرآنية وغيره، ويدرس الأثر الذي تحدثه زيادة بعض الوحدات الصرفية في أصل الكلمة، مثل اللواحق التصريفية، كعلامة الجمع (ون، أو ين،) للمذكر السالم، و(ات) للمؤنث السالم، أو ينظر في السوابق مثل حروف المضارعة، أن/ي/ت/ أو همزة التعديّة أو الميم المفعولية في كلمة "مسعود"، وينظر أيضا إلى التغيرات الداخلية مثل تضعيف وسط الكلمة للتعديّة في كلمة (كلم)، وينظر في زيادة الألف للدلالة على المشاركة ككلمة (قاتل)، وللدلالة على صيغة الفاعل مثل (صانم)، وهذه الإضافات والتغيرات تشارك في معرفة دلالة الكلمة في السياق، ويتأثر المعنى باختلافها ومقدارها بالزيادة في الكلمة (٢). وهذا يشير إلى أن الصرف يسهم في بيان دلالة الجملة العامة في النص، وعلى المحلل اللغوي معرفة هذا المستوى ليكون تحليله لألفاظ النص مناسباً.

ج-المستوى النحوي:

لقد ذكرنا سابقاً أن المستوى الصرفي يهتم ببنية الكلمة المفردة أساساً، عندئذ يكون المستوى النحوي مهتماً بالكلمات داخل السياق، وله دور في فهم دلالة الكلمات أو النصوص، عندما تنتظم مع غيرها في الجمل (٣)، لقد عُرف القرآن بأنه معرب، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "أعرّبوا القرآن والتمسوا غرابه"، وهذا دليل ظاهر أن القرآن معرب، وإعراب القرآن ضرورة يقتضيها الدلالة مثال في قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ [فاطر: ٢٨]. وقد يقرأ القارئ هذه الآية بجهل عن القواعد النحوية، (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع لفظ الجلالة، (الله) ونصب (العلماء). لأن المعنى يفرض رفع العلماء فاعلاً، ولفظ الجلالة (الله) مفعولاً به، وهذا يعني حصر الخوف من الله في العلماء ولا خوف من العلماء في الله، والعياذ بالله من ذلك. وهذه الآية الكريمة لا يفهم المعنى الذي من أجله أنزلت إلا بالإعراب، لأن إعراب الكلمات بالحركات الإعرابية يتغير بها المعنى تماماً، ويؤدي أحياناً إلى الكفر.

وكذلك قوله تعالى: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبُنُّمْ فَهَوْاْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَصَيْتُمْ مَعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [التوبة: ٣]. برفع اللام في كلمة (وَرَسُولُهُ) فيه أقوال عدة، فقد اختار النحاة أن يكون (ورَسُولُهُ) مرفوعاً عطفاً على المضمر في (بريء) وجاز ذلك لطول الكلام، والتقدير: أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ هُوَ وَرَسُولُهُ (٤)، أو أن يكون مرفوعاً عطفاً على موضع اسم (أَنْ) لأنه مرفوع في الأصل، أو معطوفاً على موضع (أَنْ واسمها). والصحيح رفعه على أنه مبتدأ لخبر محذوف والتقدير: ورسوله بريء، أو

١ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار الرشيد للنشر لسلسلة المعاجم والفهارس، ١٩٨١م)، ص ٥٨؛ وانظر: القواسمة، محمد عبد الله، معالم في اللغة العربية، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ١٩٩٩م) ص ١٤.
٢ انظر: شاذلية، سيد محمد السيد، السياق وأثره في بيان الدلالة دراسة تأصيلية تطبيقية في غريب الحديث النبوي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الأول، ٢٠٠٩م، ص ١١٠.
٣ انظر: عكاظ، محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، (القاهرة: دار النشر للجماعة، ٢٠٠٥م)، ص ١٤.
٤ النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، ١٩٨٨م، إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ص ٧١. وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٢، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ص ٢٤٦.

ورسوله كذلك، أو خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: وكذلك ورسوله(١). يقول: ابن هشام "وهذا يوضح الأثر العظيم للإعراب على معنى الآية؛ ولذا فقد أوجبوا على معرب كتاب الله أن يفهم منى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب فإنه فرع المعنى"(٢).

ومن الشبيه بالمذكور أعلاه قوله عز وجل: وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة: ١٢٤] بضم الميم في (إبراهيم) ونصب الباء في (ربُّه) يكون إبراهيم فاعلاً ورفعاً، و(ربُّه) مفعولاً به منصوباً وانعكس المعنى، أي اختبر إبراهيم الله، والعياذ بالله من ذلك. وإنما لفظ (إبراهيم) مفعول به مقدّم منصوب، ولفظ (رب) فاعل مؤخر مرفوع، ونفهم في معنى هذه الآية: وأذكر يا محمد حين اختبر الله تعالى عبده إبراهيم الخليل(٣). وأصبحت هذه الآية مفهوماً عن الطريق الإعرابي الذي لولاه لفهمنا خطأ. وبناءً على هذا، فإن للإعراب في الحقل اللغوي فوائد كثيرة، حيث يجد المفسرون به مساعدة في فهم أسرار القرآن وحقيقة المعاني المقصودة في الآيات القرآنية كما ذكرنا في الآيات السابقة، لأن اختلاف مواقع وضع الحركات الإعرابية النحوية يدعوا إلى الدلالة اللغوية المتباينة، يقول ابن عطية: "إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع"(٤). ويقول السيوطي في هذا: "الإعراب يميّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين"(٥). وعلى هذا كان للمستوى النحوي منزلة عالية بين أدوات السياق في التحليل حقيقة نصوص القرآن وإفهامها للآخرين.

وفي الزاوية الأخرى، لا يكاد يقرأ القارئ تفسيراً لكتاب الله تعالى إلا وجدنا النحو عاملاً أساسياً في فهمه والوقوف على دلالاته النصية، والأمر الذي جعل المفسرين يرون أنه من أدوات التي تنتظر فيه المفسرون في تحليل النص، ولا يستطيع المفسر أن يتصدى للتفسير إلا إذا أخذ بأدواته كاملة، لأن كتاب الله أنزل إلينا بلسان عربي مبين، وينبغي أن نتعرف على قواعد اللسان العربي، وأسلوبه في توجيه الكلام حتى يتسنى لنا معرفة معاني القرآن الكريم(٦). يقول: ابن خلدون "أركان اللسان العربي أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب... فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة لمن أراد علم الشريعة، والأهم منها هو النحو إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة"(٧). والنحو بهذا الجانب ذو أهمية بالغة يعطي محلي آيات الله علماً عن حقيقة معنى النص عبر الحركات الإعرابية التي كانت على كل جملة.

د- المستوى المعجمي:

المستوى المعجمي وهو الجانب الذي يقوم ببيان المعاني المفردة للكلمات، أي ما يعرف باسم المعنى المعجمي، يقوم هذا المستوى المعجمي بدراسة الكلمة في السياق من حيث أصولها، ومعرفة تطورها التاريخي الدلالي، بمعناها الحالي، وكيفية استعمالها في الحقل اللغوي المعجمي، ويدخل فيه الدراسة الدلالية للكلمة، ويدرس أيضاً دلالة التراكمات الاصطلاحية أو القوالب اللفظية التي تؤدي دلالة خاصة(٨). ويظهر جلياً في المستويات الأربعة السابقة دورهم في فهم السياق تحليلية تحليلياً لغوياً يتضح عبرهم موقف الكلمة ومعناها في النصي.

- ١ القيسي، مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج ٢، تحقيق: ياسين محمد السواس، (دمشق: دار المأمون للتراث، دت)، ص ٣٢٣.
- ٢ ابن هشام، مغني اللبيب، ج ١، ص ١٢.
- ٣ الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، ج ١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م، ص ٨٣.
- ٤ ابن عطية، عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٢م)، ص ٤٣.
- ٥ السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م)، ص ١٧٩.
- ٦ أبو السعود، صابر بكر، النحو العربي دراسة نصية، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م)، ص ٩.
- ٧ ابن خلدون، المقدمة، ط التجارية، ص ٥٤٥.
- ٨ انظر: عكاسة، محمود، الدلالة اللفظية، ص ٨.

ثانياً- سياق الحال أو سياق الموقف

وهو السياق الذي يدرس في إطار التحادث بين شخصين لكشف عن المراد، يقول الخولي فيه: إنه "السياق الذي يجري في إطاره التفاهم بين شخصين ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها، والعلاقة بين المتحدثين، والقيمة المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة" (١) وعلى هذا تكمن أهمية السياق الحالي في داخل الخطاب والمقام، وكذلك العناصر اللغوية المحيطة به، وهذا مما ينبغي على محلي النص القرآني دراسته قبل قيام بعمل التحليل النصي لأنه للمفسرين معيماً. يقول: ابن القيم "السياق تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقيد المطلق وتنوع الدلالة" (٢).

وفضلاً عن هذا، كان دراسة السياق الحالي أو المقامي في النص لها أهمية كبرى، وقد نص عليه الأصوليون أن النظر إلى البيئة المحيطة بالنص قبل تحليل النص أمر مهم جداً مثل معرفة أوقات الصلاة عن طريق الظل وقت طلوع الفجر والشمس وغروبها، وكذلك غروب الشفق، وأوقات الصيام، يقول رب العزة والجلال: **أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطَ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [البقرة: ١٨٧]**، وبمثل هذه الآية الكريمة ينبغي على الفقيه التعامل مع عناصر البيئة المختلفة لتحليل هذا النص القرآني، وكذلك في وضع الأحكام الشرعية الواردة فيها، يقول شاطبي: إن وضع أحكام الشرعية للإفهام مقصد من مقاصد الشرعية (٣).

إسهامات السياق في فهم النص القرآني

لقد يسهم السياق إسهاماً كبيراً في فهم النصوص القرآنية والبحث عن دلالة ألفاظها، إذ إن الاختلاف القراءة يؤدي إلى اختلاف في الدلالة والإعراب، وأحسن أن نأخذ هنا بعض ألفاظ القرآن الكريم نموذجاً لمعرفة أهمية السياق وإسهامه في شرح النصوص القرآنية، يقول الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [البقرة ٢٠٨]**.

والنظر إلى كلمة {السلم} في الآية فمعناها اللغوي المعجمي التسليم والانقياد، ويطلق على الصلح والسلام وعلى الدين الإسلام، وفي الشرح هذه الآية يقول فيها وهبة الزحيلي: إن (ك) في الآية هو (الإسلام) بمعنى ادخلوا في الإسلام كله ولا تخلطوا به غيره، وافعلوا كل ما أمركم الإسلام به من أصول وأحكام دون تجزئة واختيار (٤).

وفي الزاوية الأخرى، أتت كلمة (السلم) في الآية الأخرى للدلالة على الصلح، وهذا ليس المراد ادخلوا في الصلح حيث قال الله تعالى: **فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ [محمد: ٣٥]** فإن المراد بـ(السلم) في السياق هذه الآية هو (الصلح) (٥)، أي لا تدعوا الكفار إلى الصلح (٦).

- ١ الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، (بيروت: مكتبة لبنان، ط١، ١٩٨٢م)، ص ٢٥٩.
- ٢ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، ط١، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرين، (مكة المكرمة: مكتبة الباز، ١٩٩٦م)، ص ٨١٥.
- ٣ انظر: شاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ج ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م)، ص ٦٤.
- ٤ الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١م)، ص ٢٣٥.
- ٥ انظر: عكاشة، محمود، الدلالة اللفظية، ص ١١٧.
- ٦ انظر: الزحيلي، وهبة، المرجع السابق، ص ١٣٣.

ولقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة ذات الدلالات الخاصة المطلق ولا تتم معناها إلا بمعرفة سياقها في النص القرآني. وفي هذا الصدد تأخذ هذه المقالة كلمة (الصلاة) في القرآن الكريم نموذجاً بناء على الدليل السابق، يقول الله تعالى: فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا [النساء: ١٠٣]، وكلمة (أقيموا) تدل على وجوب حفظ أوقات الصلاة على المؤمنين والمؤمنات، وقوله تعالى: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ [الحج: ٧٨] وقوله: أَسْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المجادلة: ١٣].

وكل ما سردنا من الأدلة أنفاً يؤكد أن الصلاة في الآيات المذكورة تدل على الصلوات المفروضة التي نحن مأمورون عليها من صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء، وهي التي يثاب من أداها ويعقب من تركها. وهذا تختلف عن معنى (الصلاة) التي وردت في قوله تعالى: خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [التوبة: ١٠٣]. وهذه من أهمية السياق اللغوي في تحليل النص القرآني. فكلمة واحدة في النص أو في تركيب لغوي معين تحدد معنى المراد في النص أو الجملة، وقد تأتي الكلمة نفسها في سياق آخر بالدلالة المختلفة.

وسعيًا لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه الدراسة، هناك العديد من الشواهد التي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في قضايا سياقية نصية، بما أن محورنا هو إسهامات السياق في فهم النص القرآني وينبغي أن نشير في هذا البحث إلى بعض الآيات القرآنية تنتم لما سبق في أمر السياق اللغوي. نأخذ في هذا الصدد كلمة (يد) نموذجاً.

يقول تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [التوبة: ٢٩].

وقالت اليهود يَدِ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ [المائدة: ٦٤]

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فُسَيْوْثِيَّهِ أَجْرًا عَظِيمًا [الفتح: ١٠]. واليد في هذه الآيات ذات دلالات مختلفة، فاليد في الآية الأولى { حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } بمعنى: (عن قهر وذل) (١). ويفيد اليد في الآية الثانية { يَدِ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ } بمعنى: القبض، يقال: أنه مجازي عن البخل أي هو مسك كف الله (٢)، وأما في الآية الثالثة { يَدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } بمعنى: (متحدون) (٣).

الخاتمة

لقد سعى الباحث في السطور السابق بيانا عن دور السياق اللغوي في فهم النص القرآني وعن المستويات التي تلعب دورا مهماً في معرفة دلالات النص القرآني من أصوات وصرف ونحو ومعجمي حسب ما تيسر للقلم تسطيره، فإن كان صواباً فتلك بغيتي، وذلك فضل الله، وإن شابهه الخطأ، فإني أستمد من الله العفو عنه وعن غيره مما جنت يداي، أسأل الله

١ معين الدين محمد بن عبد الرحمن، جامع البيان في تفسير القرآن، (دار نشر الكتب الإسلامية، ٨٩٤هـ)، ص ٢٧٠.

٢ انظر: المرجع نفسه، ص ١٧٢.

٣ انظر: المرجع نفسه، ص ٢٩٢.

سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع به، وأن يجعل جزاء ما به من خطأ أجراً واحداً وما به من صواب أجرين اثنين، وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير.

المراجع

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (١٩٩٦م)، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرين، مكتبة الباز، ط١، مكة المكرمة، ص ٨١٥.
٢. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. ٢٠٠٢م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، بيروت.
٣. أبو سعيد، محمد عبد المجيد. (٢٠٠٧م)، القراءات القرآنية في إعراب العطف على الضمير المجرور المتصل، مجلة الإسلام في آسيا، ج٤، ع١، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.
٤. الحارثي، عبد الوهاب أبو صفية، (١٩٨٩م)، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، عمان.
٥. الزحيلي، وهبة، (١٩٩١م)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت.
٦. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. ٢٠٠٤م، الإتيقان في علوم القرآن، ج١، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٧. الصابوني، محمد علي. (١٩٩٦م)، صفوة التفاسير، ج١، دار الفكر، بيروت.
٨. عكاظ، محمود. (٢٠٠٥م)، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجماعة، القاهرة.
٩. عمر، أحمد مختار. (١٩٨٢م)، علم الدلالة. ط١. مكتبة دار العربية. الكويت
١٠. القواسمة، محمد عبد الله، (١٩٩٩م)، معالم في اللغة العربية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان.
١١. القيسي، مكي بن أبي طالب. (د.ت)، مشكل إعراب القرآن، ج٢، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق.
١٢. حبلى، محمد يوسف، (١٩٩١م)، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة.